سبعة يظلهم الله في ظله

إخوة الإيمان:

الحمد لله الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، صلى عليه الله وسلم ما أظلم ليل، وما أشرق نهار، وعلى آله وصحبه الأطهار، وصحابته الأخيار، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً، عباد الله: ما أكرم الله! وما أعظمه، وما أرحمه، وما أجوده، وما أرأفه، وما أعلمه! شرع لنا ديناً قويماً، وجعله توحيداً وأحكاماً وقَصصاً وعبراً ووعْداً ووعيداً، حثنا على فعل الخير ورتب عليه عظيم الأجور، ما جعل الله علينا فيه من حرج، شريعة سمحة ودين وسط،

كشف لنا فيه غيباً كثيراً عظيماً في حياتنا الآن، وفي البرزخ والقبور، ويوم البعث والنشور، وما ذاك إلا دليل على أنه صدق وعدل وحق؛ حتى نستعد، وحتى نعمل، حتى نصدق ونؤمن، حتى لا يكون لأحد عذر يوم القيامة، ممن فرطوا وضيعوا وخالفوا وعصوا، وفي حديث عظيم من كلام المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي قال الله: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى [النجم]أخبره الله به، وأخبر به أمته صلى الله عليه وسلم، تأملوا كم هو عظيم هذا الحديث وأحاديثه كلها عظيمه، تأملوا كم فيه من المعاني، وكم فيه من العبر، وكم فيه من الأحداث!؛

قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله عز وجل، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حُسْنٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا؛ حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ(أخرجه البخاري ومسلم)

يَذكر الرسولُ عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث ما أعده الله سبحانه وتعالى لسبعة أصناف من عباده المؤمنين الذين صَفَت عقيدتهم، وزكت نفوسهم، وراقبوا الله في سرهم و علانيتهم، وصدروا في جميع أعمالهم عن رهبة منه وخوف وطمع، فهم يوم القيامة في كنفه و حياطته حيث لا ناصر لهم ولا معين، أيها الإخوة: هذه سبعة أصناف من أمة الرسول صلى الله عليه وسلم بشرهم الرسول بهذه البشارة العظيمة، من جاء بواحدة يوم القيامة جعله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ لأن يوم القيامة ليس فيه ظل إلا ظل الله أي يخلقه الله، لا أشجار ولا غرف نوم، لا استراحات لا صالات لا مكيفات لا كهوف، كلها لا وجود لها يوم القيامة، ويَومُ القِيامةِ يومٌ عَصيبٌ كَثيرُ الأهوالِ، تَدْنو فيه الشَّمسُ مِن رُؤوسِ العِبادِ، ويَشتَدُّ عليهم حَرُّها، الشمس دانية من الرؤوس، بيننا وبينها مقدار ميل، وراوي الحديث لا يدري هل هو ميل المسافة أم ميل المكحلة؟!والناس حفاة عراة غرلا، في صعيد واحد ، ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي، كلهم جميعاً، أولهم وآخرهم، وصغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، الأنبياء والرسل، الملوك والوزراء، والأغنياء والفقراء، والضعفاء والأقوياء، والكفار والمنافقون، والمسلمون والمؤمنون كلهم جميعاً، قال تعالى: يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ[التغابن]أي يَوم العرق يَوم الرشح، يبلغ العرق من الناس على قدر أعمالهم،

وقد بَشَّرَنا رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بأنَّ للهِ عِبادًا سيُظِلُّهم في ظِلِّه في هذا اليَومِ الذي لا ظِلَّ فيه سِوى ظِلِّه سُبحانه وتعالَى، وفي هذا الحَديثِ الجَليلِ يَذكُرُ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ سَبعةَ أصنافٍ مِن هذهِ الأُمَّةِ يَتنعَّمون بِظِلِّه سُبحانَه في ذلِك اليَومِ الرهيب الَّذي لا يَجِدُ أحَدٌ ظِلًّا إلَّا مَن أظَلَّه اللهُ في ظِلِّه، وأوَّلُ هؤلاءِ السَّبعةِ: الإمامُ العادِلُ، وهو: الحاكِمُ العادِلُ في رَعيَّتِه، إمام المسلمين الذي يوليه الله عليهم، ثم يحكم بين رعيته بالعدل، يعدل في العطاء، يعدل في القسمة، يعدل في الأحكام، يعدل في المعاملة، يُحكم شرع الله ويتبع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ويرعى حرمة الاسلام، قال تعالى: الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ[الحج]

وفي صحيح مسلم: إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ أي: العادلين، يوم القيامة علَى مَنابِرَ مِن نُورٍ، عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ عزَّ وجلَّ وكِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وما وَلُوا، الذي يُحافِظُ على حُقوقِهم، ويَرعَى مَصالِحَهم، ويَحكُمُ فيهم بشَريعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فيُقيمُ مَصالِحَ الدِّينِ والدُّنيا، والصنف الثَّاني: شاب نَشَأَ مُجتهِدًا في عِبادةِ رَبِّه، مُلتزِمًا بطاعتِه في أمْرِه ونَهْيِه، لأن الشاب في قمة العنفوان والقوة والنشاط وطغيان النفس، وغلبة الشهوة والطيش، لكن من سخر هذه القوى واستغلها في طاعة الله ومرضاته، ونشأ طائعاً تقياً مصلياً باراً لوالديه، غاضاً لبصره مالكاً لشهوته؛ يجازيه الله تعالى؛ فيجعله تحت ظله يوم القيامة، قال الله تعالى عن الفتية أصحاب الكهف: إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى [الكهف]وخَصَّ الشَّابَّ بالذِّكرِ؛ لأنَّ العِبادةَ في الشَّبابِ أشَدُّ وأشقُّ

وأصعَبُ؛ لكَثرةِ الدَّواعي للمَعصيةِ، وغَلَبةِ الشَّهواتِ، فإذا لازَمَ الشابُ العِبادةَ حِينَئذٍ دَلَّ ذلِك على شِدَّةِ تَقْواه، وعَظيمِ خَشيتِه مِن الله، والصنف الثَّالثُ: رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ؛ وتأملوا التعبير قلبه معلق في المساجد، يقول تعالى: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ،

فماذا نقول لمن ضيع صلاة الفجر والعصر والجمعة، يصلي الفجر في البيت مع النساء، أو إذا أشرقت الشمس، أو إذا أراد الذهاب للعمل؛ ونسي قوله تعالى: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ[التوبة]الرجُلُ المُعَلَّقُ قَلْبُه في المَساجِدِ؛ فهو شَديدُ الحُبِّ والتَّعلُّقِ بالمساجِدِ، يَتردَّدُ عليها، ويَكثُرُ مُكثُه فيها، مُلازِمًا للجَماعةِ والفرائِضِ، ومُنتظِرًا للصلاةِ بعْدَ الصلاةِ، كأنَّ قَلبَه قِنديلٌ مِن قَنادِيلِ المسجِدِ، اللهم أظِلنا بظِلك يوم لا ظِل إلا ظِلك، اللهم ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، نعوذ بك من شر أنفسنا وشر الشيطان وشركه، إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

خطبة الجمعة ليوم 20 شتنبر 2024 م